عمال ونقابيون: الاحتفال بالأول من أيار مات منذ زمن

□ بغداد / دعاء آزاد

ما لم يمحه الزمن من ذاكرة إبراهيم الذي جاوز عمره الخمسين عاما، مسيرة في سبعينيات القرن الماضي كانت تمثل احتفالا بعيد العمال، انطلقت من مطار المثنى في الساعة العاشرة صباحا واستمرت إلى الساعة الحادية عشرة ليلا، وصولا إلى القصر الجمهوري، مسيرة تمشي ببطء تتقدمها النساء وتشارك بها جحافل من قطاعات العمال المختلفة حاملين لافتات تهنئ العمال بعيدهم وتمجدهم تصاحبها ألعاب نارية تزين سماء بغداد.

ويضيف إبراهيم، أحد أفراد الطبقة العاملة، الذي حضر لمقر "المدى" ليحكي عن ذكرياته بهذا العيد، "كنا نواظب على حضور احتفالات ١ أيار، وكانت الحكومة في سبعينيات القرن الماضي تقيم احتفالات واسعة وتنفق عليها أموالا كثيرة، إذ تزين الشوارع والمراكب النهرية"، عازيا ذلك إلى أن ذلك النظام "كان يريد تلميع صورته أمام المجتمع، لذلك كان يقيم احتفالات بهذا العيد، وآخرها قبل اندلاع الحرب العراقية الإيرانية".

ويشير "لم يكن الاحتفال بهذا اليوم مجرد احتفال انما كان تحديا للنظم الحاكمة وتشجيعا للطبقة العاملة".

ويأسف إبراهيم لغياب هذه المظاهر في الوقت الحالي، ما ترك أثرا سلبيا في نفسية العامل، مشيرا إلى أن "أجمل ما يميز هذا العيد سابقا هو تهاني الناس للعمال وهذا ما يعطي للعامل شعورا بأهمية دوره في المجتمع، لكن هذا غائب اليوم".

ويذكر أن "الأوضاع السياسية التي عاشها العراق ألقت بظلالها على احتفالات عيد العمال، فمنذ تلقت القوى الوطنية أولى الضربات من النظام المباد في العام ١٩٧٨ بدأت الاحتفالات تقل"، مضيفا "لن تعود الاحتفالات ما لم يعد وعي العمال بحقوقهم".

فيما يصف النجار غانم حمدان (٦٢ عاما) في حديثه لـ"المدى" احتفالات عيد العمال سابقا بأنها "احتفالات حقيقية تعيد الحيوية لنا، تشعرنا بوجودنا في المجتمع وتقوي عزيمتنا على مواصلة العمل، إذ لم تكن هذه المناسبة تختلف عن الأعياد الأخرى، كنا ننتظر هذا العيد ونعد له العدة".

ويبين حمدان "كانت المعامل والشركات تتنافس فيما بينها في إقامة الاحتفالات وتكريم عمالها، إضافة إلى احتفالات العمال وعوائلهم في قاعات ونوادي بغداد إذ كانت كل حركة عمالية أو مجموعة معينة تتشارك الاحتفال في ما بينها، فضلا عن الاحتفالات التي تقيمها الحكومة في الساحات والمتنزهات العامة".

ويلفت إلى أنه "سابقا كانت الحكومة تقدم لنا الدعم في العمل لكن اليوم حتى احتفالاتنا اندثرت".

"الاحتفالات هذا العام لم تكن بالمستوى المطلوب بسبب القيود المفروضة على الطبقة العاملة"، بحسب ما يؤكد أمين عام اتحاد نقابات العمال هادي لفتة في حديثه لـ"المدى".

ويتابع: "هناك قوى سياسية .لم يسمها .منعتنا من تنظيم مسيرة عمالية احتفاء بعيد العمال، إذ تعمدت تأخير إصدار رخصة للمسيرة حتى ساعات متأخرة من يوم أمس الأول الثلاثاء"، مشيرا "عمالنا استقبلوا عيدهم هذه السنة بألم وغصة في وقت تعتبر شعوب العالم هذا العيد عيدا وطنيا وشعبيا".

وينبه لفتة إلى أن "العمال يعانون من مشاكل في الجانب التشريعي، إذ بالرغم من إصدار قانون العمل الجديد إلا أنه لم يجر العمل به حتى هذه اللحظة"، لافتا إلى أن الحكومة تتعمد العمل بقوانين النظام المباد.

ويوضح أن "أكثر تلك القوانين إجحافا لحقوق العمال هو القرار (١٥٠) الصادر عام ١٩٨٧ والذي يقضي بتحويل العمال إلى موظفين، وهو ما حرم أكثر من ٧٥٪ من الطبقة العاملة من حقوق العمل النقابي والتأمين الصحي والسلامة المهنية والضمان الاجتماعي، إضافة إلى أنه لم يجعل من العامل موظفا بل بقي حرفيا وليس من حقه الارتقاء في السلم الوظيفي كأقرانه من الموظفين".

لفتة يشدد على أن "تكون الاحتفالات بهذا العيد ذات نكهة عمالية حقيقية، لأن الاحتفال ليس تعبيرا عن الابتهاج فقط بل هو وقفة ومراجعة لحقوق الطبقة العاملة".ودعا أمين عام اتحاد نقابات العمال القوى السياسية إلى الاهتمام بالعمال "وأن تغير النظرة الطبقية تجاه العمال ويعوا أن لهذه الشريحة دورا مهما في عملية التطور الاقتصادي والاجتماعي وكذلك عدم التدخل في انتخاباتهم التي هي حق من حقوقهم".

الباحثة الاجتماعية فوزية العطية عزت غياب الاحتفالات إلى الظروف الصعبة التي مرت على العراق من الحصار الاقتصادي، وما صاحبه من قمع النظام المباد، إضافة إلى الحروب، والأزمات السياسية المتعددة، كل ذلك ألقى بظلاله على مظاهر الفرح كافة.

وأكدت العطية أن "عدم احتفال العمال بعيدهم يشعر العامل بالإحباط، ما يؤدي إلى نتيجة سلبية، إذ لن يشجع العامل على إتقان عمله، لكون هذا العيد يمثل اهتمام المجتمع بما يقدمه من جهود طوال العام".

وطالبت العطية وسائل الإعلام بالضغط على الحكومة لدعم العمال والاهتمام بعيدهم الذي هو أقل حق من حقوقهم، "إذ لا يمكن بناء دولة مدنية بدون الاهتمام بالعمال لأنهم ثروة المجتمع".

نص ردن

■ علاء حسن

نظرية معيلو

صاحب هذه النظرية، النائب الضابط في الجيش العراقي السابق " كريم هلال معيلو" يعدها من وجهة نظره بوصفه مخترعها ومتبنيها، بأنها الأسلوب الوحيد والطريق الأمثل لمعالجة الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحتى الصراعات والنزاعات بين الدول، ونظرية معيلو تعتمد السنن العشائرية في التعاطي مع اية مشكلة محلية كانت او اقليمية، لاعتقاده بان الامتداد العشائري بين العراق ودول الجوار مازال قائما، ولم تعطله العوامل الجغرافية.

معيلو يوم كان ضمن مفرزة طبية تابعة لإحدى وحدات الجيش في قاطع البصرة ابان الحرب العراقية الايرانية كثيرا ما ابدى اعتراضه على جهود" لجنة المساعي الحميدة "لوقف اطلاق النار بين البلدين واللجوء للحلول السلمية، واعتراض معيلو على" المساعي الحميدة" يتلخص بخلو لجنتها من شخصيات عشائرية، يراها هو مؤثرة وفاعلة في الضغط على العراق وايران باتخاذ موقف فوري لايقاف الحرب.

منتسبو وحدة معيلو العسكرية وقتذاك، نصحوه بان يبتعد عن طرح نظريته الخطيرة لانها غير صالحة، وتحمل في طياتها مخاطر سياسية، لكنه تجاهل النصائح، واخذ يروج لنظريته بدوافع رغبته في تحقيق السلام وتفادي وقوع المزيد من الخسائر المادية والبشرية، وعندما عبر الخط الاحمر، تم استدعاء النائب ضابط معيلو الى استخبارات اللواء، وخرج بعد ساعات متوجها لمقر وحدته مشيا على الأقدام في ليلة ظلماء، بعد ان أعطى تعهدات بالكف عن الترويج لنظريته، والابتعاد عن الحديث حول جهود المساعي الحميدة.

عندما يغيب أمر المفرزة الطبية وكان طبيبا برتبة ملازم، يتولى مساعده معيلو المنصب ويقتصر دوره على تقديم العلاج لحالات بسيطة، وفي احد الايام راجعه احد الجنود، لقلع ضرسه، وانقاذه من الالم، وفي هذا الموقف وجد معيلو فرصة مناسبة لتطبيق نظريته، فباشر عمله بقلع الضرس من دون استخدام التخدير، وعندما احتج الجندي، خاطبه معيلو:" ليش تخاف انت مو ابن عشاير" فخرج الجندي هاربا من مقر المفرزة، تاركا النائب ضابط "يدردم" تعبيرا عن اسفه لفشل نظريته حتى في قلع ضرس جندي لايؤمن بالاعراف والقيم العشائرية.

انتهت الحرب العراقية الايرانية، بعيدا عن جهود اعضاء لجنة المساعي الحميدة، لكن معيلو لن يتخلى عن نظريته فانتظر الوقت المناسب لاعتمادها في حل مشاكل اخرى، وفي ضوء ما حصل في العراق من احداث ومنعطفات ومتغيرات سياسية، استطاع وبدعم من جهة سياسية صاحبة نفوذ في احدى نواحي محافظة البصرة تجديد نظريته، واستخدامها بالتنسيق مع وجهاء وشيوخ العشائر في ملاحقة مطلوبين تتهمهم الحكومة، بانهم ينفذون عمليات ارهابية، واصل معيلو عمله بكل تفان واخلاص باعتماد نظريته للحصول على المزيد من الدعم المالي والمعنوي، لكن العقلاء شيوخ ووجهاء ناحيته، هددوه برفع شكوى قضائية ضده، لانه استخدم النظرية خارج السياقات العشائرية المعروفة، واصبح مخبرا سريا بامتياز للاجهزة الامنية، للتغطية على نشاطه بعمليات تهريب المخدرات والممنوعات من ايران الى العراق، فتمكنت العشائر من احباط "نظرية معيلو " وقطعت الطريق امام من يرغب في استخدامها للتقرب من الجهات المتنفذة.

كشف لـ"المدى" منعه تحويل سراي ثورة العشرين إلى محال تجارية

قائممقام الرميثة: الشركات الأجنبية تغادرنا بسبب غموض القوانين ومزارع العنبر تختفي

□ بغداد / مازن الزيدي

كشف قائممقام قضاء الرميثة أن عددا من الشركات الأجنبية التي جاءت لإنشاء مصانع هناك، غادرتها وصرفت النظر عن مشاريعها بسبب "غموض" قانون الاستثمار، لاسيما في قطاع الزراعة الذي تضرر كثيرا بسبب أزمة المياه التي أفقدت القضاء نصف مزارع العنبر الذي تشتهر به بلدات الفرات الأوسط.ويلفت القائممقام حاتم حسين علوان الحساني في لقاء مع "المدى" إلى أن "نصف مواطني محافظة المثنى يسكنون القضاء الذي تحيطه تلال آثارية يعود بعضها للحقب السومرية".

ويبدو الحساني سعيدا بنجاحه في منع الحكومة المحلية من تحويل سراي ثورة العشرين وسجن شعلان ابو الجون، إلى محال تجارية وهو يفكر بإنشاء متحف يخلد تاريخ المدينة.ويذكر أن أطرافا حكومية حاولت مؤخرا الاستحواذ على السراي الحكومي،الذي شهد انطلاق الشرارة الأولى لثورة العشرين، لتحويله إلى دكاكين ومحال تجارية، متجاهلين رمزيته التاريخية والوطنية، حسب قول القائممقام.واقترن اسم "الرميثة" بثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠، التي انطلقت ضد الاحتلال الانكليزي للبلاد على خلفية اعتقال أحد مشايخ المدينة الوطنيين، شعلان أبو الجون، واستمرت الرميثة (٢٥كم شمال مدينة السماوة، مركز محافظة المثنى) وهي تفتخر بتاريخها الوطني مسجلة حضورا لافتا في تاريخ البلاد المعاصر بابنائها وعشائرها العربية.

ونظرا للنفوذ الذي تملكه عشائرها في منطقة الفرات الأوسط، لاسيما في العهد الملكي، فقد حظيت الرميثة باهتمام قادة البلاد، إذ زارها كل من الملك فيصل الأول والملك غازي وفيصل الثاني برفقة الوصي عبد الإله ونوري باشا السعيد.

ولفت الحساني إلى أن قضاء الرميثة "يقع على مربع آثاري مهم لاسيما في ناحيتي الوركاء والنجمي، بالإضافة إلى التلال الآثارية التي تحيط بالقضاء نفسه، وهذا يشكل بنية تحتية لإنعاش السياحة الآثارية في بلدتنا".

وبشأن الواقع الخدمي للرميثة، يقول الحساني "تحتاج الكثير في مجال البنى التحتية بسبب الإهمال والإجحاف الذي طالها"، لافتا إلى أن "عدد نفوس الرميثة يعادل نصف نفوس المحافظة، إذ يبلغ ٢٥٦ ألف نسمة، بضمنها النواحي التابعة لها، منهم ١١٠ آلاف مواطن يقطنون مركز القضاء".

ويكشف الحساني أن "موازنة الرميثة للعام ٢٠١١ بلغت ١٨ مليار دينار بواقع إنفاق يصل إلى ٩٥٪، ونأمل ارتفاعها إلى ٢٥ مليارا للعام الحالي"، مضيفا "ما زلنا نعاني من تأخر وصول الموازنة كل عام، ما ينعكس على تقديم الخدمات للأهالي، فكل الخدمات التي تقدم هي دون المستوى لأننا ورثنا وضعا مأساويا".

قائممقام الرميثة تحدث عن مشاريع تم انجازها العام الماضي منها على سبيل المثال شبكة طرق لربط المدينة بالخط السريع الذي يربط البصرة بالعاصمة بغداد، إضافة إلى المسبح الاولمبي الذي يتسع لنحو ٢٠٠٠ متفرج، ومشاريع أخرى في مجال الصرف الصحي والمياه.

وعن المشاريع الأخرى، يبين الحساني أن جامعة الرميثة التي ستبدأ نواتها بكلية القانون، إضافة إلى مجمع طبي يضم مستشفى بسعة ٢٠٠ سرير، ومستشفى نسائي بسعة ١٠٠ سرير.

وفي قطاع الإسكان، يتحدث بثقة عن انجاز ٤٥٠ وحدة سكنية هذا العام، مشيرا إلى أن السنوات القليلة المقبلة ستشهد سد ٧٠٪ من حاجة الرميثة في هذا القطاع.

وعن واقع الاستثمار في الرميثة، يقول المسؤول المحلي "هناك قطاعات واعدة للاستثمار في المدينة نظرا لطبيعتها الزراعية، فبالإمكان الاستثمار في مجالات الصناعات الغذائية كالألبان والدواجن ومعامل الطحين والأعلاف وغيرها من المشاريع".

وينبه إلى إشكالية كبيرة في استقطاب الاستثمارات المحلية والأجنبية، موضحا "المستثمر المحلي يبحث عن الأرباح السريعة والسهلة لذا يفضل الاستثمار في بناء المجمعات التجارية والمولات وبالفعل خصصنا ٣ مواقع لهؤلاء المستثمرين".

ويضيف الحساني "فاتحتنا شركة هندية لإنشاء معمل لصناعة الأنابيب في الرميثة يوفر ٣٠٠ فرصة عمل لأبناء القضاء لكنهم عزفوا عن المشروع بسبب التباسات قانون الاستثمار"، مؤكدا "ما حصل مع الشركة الهندية هو مثال عن المعوقات التي تواجه الشركات الأجنبية".

ويشدد على أن شحة المياه التي تعيشها المدينة ألقت بظلالها على زراعة الشلب الذي تشتهر به، مبينا أن "أزمة المياه خفضت المساحات التي كانت تزرع بالعنبر من ٢٠ ألف دونم إلى ثمانية آلاف دونم".

ويضيف "المشكلة تتمثل بالنزاع الدائر حول مياه التي تصلنا من نهر الحلة الذي يمر بمحافظتي بابل والديوانية اللتين تستأثران بـ٤٥٪ من مياه النهر لكل منهما مقابل ١٠٪ هي حصة الرميثة"، لافتا إلى أن "حصة الرميثة من المياه هي للاستهلاك البشري وسقي الزرع في محافظة المثنى، لكننا لا نحصل حتى على هذا المقدار بسبب تجاوزات محافظة الديوانية".

ويؤكد الحساني أن هذه المشكلة "تحول دون الاستثمار في القطاع الزراعي وتنفيذ مشاريع استصلاح الأراضي واستخدام تقنيات الري الحديثة".

عيون (المدى)

كراج الحروب

□ عبدالكريم العبيدي

صورة قديمة

ليت الطريق الى محافظات العراق، شمالا أو جنوبا لا يبدأ من كراج النهضة. من هذا المكان الذي طالما وصفه العراقيون بالغصة المزمنة ومرارة الحروب والضياع والأسى. فكم من رجل وامرأة وشقيق وشقيقة وزوجة وابن وبنت، كم من كل هؤلاء ودع، ولآخر مرة ابنه الذاهب الى جبهات القتال في حرب الثمانينيات العقيمة ولم يره ثانية؟، كم من تشرد وبكى وفارق أهله ومحبيه في هذا الكراج؟. وكم منهم من سهر ألف ليلة وليلة على أرصفته وأجبر داخل مقاهي الكراج الموبوءة والمكتظة بالنشالين والمتشردين والمعتوهين والشقاوات والسكارى؟ على مشاهدة "كاسيتات الفيديو" وأفلامها المليئة بحفلات الرقص والجوبي الماجنة التي يقيمها الأثرياء. وكم من "الناجين" من تلك الحرب اللعينة، نسي أو ينسى نهارات وليالي البؤس التي قضاها في باحة هذا الكراج طيلة عقود الحروب المليئة بالأسى، يوم كانت الحياة معسكرة ومهيأة لمزيد من المغامرات الطائشة والويلات والنكبات؟.

لا يمكن لأحد من هؤلاء الناجين أن يقشط من ذاكرته المكتظة بالويلات والنكبات وأعوام البؤس "سوداوية" كراج النهضة ومآسي تاريخه اللا تحصى. فهو ذكرى مريرة تأبى المغادرة أو التقليل من سخونتها وآلامها. فمن ينسى باعة أحذية الجيش والرتب العسكرية وصباغي الأحذية وباعة الشاي و"الفلافل" والبيض والقيمر؟، كانت أرصفة الكراج والجزرات الوسطية تمثل فنادق من الدرجة "الأرضية". تؤوي جنودا جاؤوا من شتى المحافظات والأقضية والنواحي للالتحاق الى عوالم الملاجئ والقذائف والراجمات والخنادق والقصعة وتناكر الماء وسيارة الحانوت وأكداس العتاد، و "تعب حتى الحديد وما تعبتوا"!.

سينغمر حتما في ذكرياته ويلتصق بمونولاجاته الذاتية/ الجمعية ويسوح مع أعوام عمره التي ضاعت هباء وينوح بصمت، فما زالت أصوات السائقين ونداءاتهم تعشش في أذنيه "بصرة عل ناصريه، بصره عل عماره، بصرة بالدولفين، بالجنح، بالبهبهان، بالسلبرتي، بالكابرس، بالسوبر، بالمنشأة بالريم"، وسيرى دون شك أن كراج النهضة هو سجل متهرىء لذكريات الذاهبين الى مطاحن الموت قديما. وهو تاريخ مؤطر بأزيز الرصاص وهدير الدبابات ودوي المدافع.

صورة "جديدة"

أخيرا تسللت الحافلة الصغيرة التي كانت تقلنا من داخل فوضى الكراج وصخبه. سيارات كبيرة وصغيرة في تشابك مقيت. تلول من النفايات. عشرات من المتسولين وباعة الصحف والمجلات والحلوى والهدايا الرخيصة. وبعد أن تم تفتيش حقائبنا خرجت الحافلة من الكراج لتتخلص من أول مخاطر الرحلة، وهو احتمال قوع انفجار في داخل الكراج كما حصل مرارا طيلة الأعوام الماضية.قال السائق: "صلوا على محمد وآل محمد" فصلى الركاب جميعا بهلع وظلت أنظارهم مشدودة الى الطريق .كانت أغلب الشوارع مغلقة بسبب حدوث عدة انفجارات في ذلك الصباح، فاضطر السائق الى التسلل من بين عدة أحياء سكنية وشوارع فرعية وهو ما أثار الهلع في نفوس المسافرين ومطالبتهم بعدم الابتعاد عن الشارع الرئيسي خشية أن يذهب بهم الى إحدى العصابات مثلما حصل للعديد من المسافرين!.

ولكن السائق عرض المزيد من التطمينات. وبدا وكأنه ملم بهذا النوع من المخاوف والطلبات التي يبديها ركاب سيارته منذ خروجه من الكراج.

لم يكن ركاب الحافلة من أهالي محافظة واحدة. بعضهم من سكنة العاصمة بغداد. وآخرون من أهالي البصرة والعمارة. وكان اثنان منهم يعتمران الكوفية والعقال ويجلسان الى جانب امرأة عجوز بدت خائفة جدا وتكثر من الأدعية والسور القرآنية، خصوصا حين يسارع السائق الى إيقاف السيارة الى يمين الشارع لإفساح المجال لعبور رتل عسكري. أو حين تزعق منبهات سيارات الشرطة والجيش مطالبة السائقين بإفساح المجال لعبورها.

وعند أول سيطرة عسكرية توقفت السيارة وطلب أحد أفرادها من الراكبين جميعا إبراز هوياتهم. وحين اطلع على لقب أحدهم سأله بوقاحة: "أنت لقبك".....". اشعندك رايح للبصرة!؟. فأجابه الراكب: لحضور مجلس عزاء لا أكثر. ثم تساءل مندهشا: ولكن لماذا تسألني!؟. فرد عليه العسكري بحدة: "مو شغلك!!".

كانت هذه المساءلة الغريبة هي مقدمة لحوار ساخن نشب بين الركاب من لحظة اجتياز السيارة للسيطرة، تناول المشهد العراقي بكل فصوله وتداعياته. وأظهر وجهات نظر متقاطعة ومتشنجة أحيانا، مما اضطر السائق الى مطالبة الركاب بالصلاة على "محمد" مرة أخرى. في محاولة منه لتخفيف حدة التوتر وتنقية الأجواء، فردد الكثير منهم: "الله هم صلي على محمد وآل بيت محمد".

ولكن ما زاد من هلع الركاب وقلقهم هو حصول حادث اصطدام بين سيارتين، تحطمت أجزاء منهما وتناثر الزجاج على أرضية الشارع، كانت احداهما تقل عائلة عراقية. وأدى الحادث الى مقتل وجرح عدد من أفراد العائلة.

بعد دقائق، أدى انفجار عبوة ناسفة الى تدمير جسر "الرستمية"، جنوبي بغداد وحصول زحام خانق واضطراب في حركة السير، الأمر الذي دفع بالسائق الى العودة الى كراج النهضة والاعتذار للمسافرين عن مواصلة الرحلة!.